

الموجز في

# اصول الدين



آية الله السيد رضا حسيني نسب

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

هذه الرسالة الموجزة ، هي ملخص دروس و محاضرات القيت في دورة عقائدية ، وهي تشتمل على مقدمة و مباحث التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة و المعاد.

و المقدمة تشتمل على مباحث تمهيدية يجب التطرق إليها قبل الخوض في بيان اصول الدين ، و هي كالتالي :

### الحرية الفكرية في الإسلام

المسلمون فخورون بأن دينهم يبتني على أساس الحرية في الفكر و رفض التقليد في اصول الدين.

إنّ الله سبحانه و تعالى يدعو الناس إلي دراسة الآراء العقائدية و المدارس الفكرية المختلفة بكل بصيرة ، ثم اختيار ما هو الأحسن و الأنسب ، فيقول في سورة الزمر من القرآن الكريم :

"وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ .  
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا  
النَّالِبِ".

و ذلك لأنّ الإسلام هو شريعة غنية بالأفكار الراقية و الحجج العقلية البالغة ، و تبتني على أساس المنطق و الاستدلال ، و لا تزعمها عواصف الأفكار المعارضة و الايدئولوجيات المناهضة.

و لأجل هذا ، يرفض الإسلام أيّ لون من ألوان التقليد في اصول الدين ، و يعتبره منافيا للقيم الإلهية.

يقول ربنا عزّ وجلّ في سورة الزخرف من كتابه المجيد :

"وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِنَّهَا قَالَتْ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ أُولُو جُنُودٍ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ "

و على هذا الأساس ، يجب على كلّ فرد أن يدرس العقائد و اصول الدين ليعرف حقائق الشريعة في ضوء الاستدلال العقلي و البصيرة الفكرية.

## قيمة العقل في الإسلام

إحدى الميزات البارزة للإسلام هي قيمة العقل من وجهة نظر هذا الدين الإلهي ، بحيث أنه يشكل قاعدة أساسية للعقيدة ، و يكون معيارا لمعرفة الواقع.

الإسلام يدعونا إلى التديّر و التفكّر في الشريعة و لا يطلب منا أن نستمع إلى الأقوال و الآراء و نلقيناها بالقبول من دون التأمل و التفهم.

يقول ربنا سبحانه و تعالى في سورة "ص" من القرآن الكريم :

" أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ "

يظهر لنا مدى أهميّة العقل في الشريعة الإسلامية بما رواه الكليني في كتاب العقل و الجهل من موسوعته "الكافي" عن النبي الأعظم (ص) أنه قال :

"إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة و كثير الصيام فلا تباهوا به حتّى تنظروا كيف عقله".

و لأجل هذا ، يرى الإمام علي ابن أبي طالب (ع) أنّ العقل يساوي الحياة و أن عدمه في حكم الموت و الغناء ، حيث روى عنه الكليني في نفس المصدر أنه قال :

" و فقد العقل فقد الحياة ، و لا يقاس إلا بالأموات".

و نرى أنّ الإمام جعفر الصادق (ع) يصرّح بأنّ العقل هو الذي يؤدّي إلى الدين و إلى السعادة الأبدية ، حيث يقول - كما في نفس المصدر - :

**"من كان عاقلاً كان له دين ، و من كان له دين دخل الجنة".**

و على هذا الأساس ، يجب علينا أن نبنّي صرح عقيدتنا على قواعد العقل و الاستدلال ، و نعرف اصول ديننا في ضوء التفكّر و التدبر.

\*\*\*\*\*

## الرؤية الكونية

مباحث الرؤية الكونية تشتمل على ثلاثة اصول رئيسية كالتالي :

- معرفة الوجود.
- معرفة الطريق.
- معرفة الإنسان.

معرفة الوجود هي عبارة عن أبحاث تتعلّق بتبيين معالم الكون و مبدأ الوجود ، و بالتالي تنتهي إلى معرفة البارئ سبحانه و تعالى و صفاته و أسمائه و توحيده.

و معرفة الطريق تشتمل على أبحاث متعلّقة بتبيين طريق السعادة الأبدية للإنسان و الحياة الطيبة التي خلق البشر لأجل الوصول إليها ؛ و بالتالي ينتهي هذا المبحث إلى معرفة الشريعة السماوية و معالم النبوة.

و أما معرفة الإنسان فهي تتكفل بدراسة موضوعية عن حقيقة الإنسان و أبعاد وجوده من الروح المجردة و قواه النفسانية و بقاء النفس إلى الأبد.

و على هذا الأساس ، ينتهي الأصل الأول إلى معرفة الله و التوحيد ، و الأصل الثاني إلى معرفة النبوة ، و الأصل الثالث إلى معرفة المعاد. و هذه الثلاثة هي اصول الدين.

أما الأصلان المعروفان بأصلي المذهب و هما مبحث العدل و مبحث الإمامة ، فالأول منهما هو في طول مبحث معرفة الله ؛ و أما الثاني فهو في طول مبحث النبوة ، لأن الإمامة هي خلافة النبي من بعده.

و لأجل الترابط المنطقي بين هذه السلسلة من المباحث الاعتقادية ، نتطرق إلي بيانها بالترتيب ، فنبء البحث بدراسة معرفة الله و إثبات وجوده ، ثم نتوجه إلى بيان التوحيد و صفات الله عزو جل .

و في فصل آخر سنبحث عن العدل في التكوين و التشريع. ثم نتطرق إلى موضوع النبوة و الإمامة ، و في نهاية المطاف ، نقدم إليكم مبحث معرفة الروح و معالم المعاد.

\*\*\*\*\*

## المعرفة و أنواعها

حيث أنّ دراسة المعرفة و مصدرها و أنواعها هي نقطة الانطلاق لتبيين النظام الفكري المتماسك للكون ، فيجب علينا أن نقدم بحثاً مختصراً حول النظريات الدارجة في هذا الخصوص.

الإدراك ينقسم على قسمين : التصوّر و التصديق. أمّا التصوّر فهو الإدراك البسيط من دون حكم ؛ كتصورنا لمعنى النور و الصوت. و التصديق هو الإدراك المشتمل على حكم ؛ كتصديقنا بأن النور يتألّف من فتونات ، و أن الصوت أبطأ حركة من النور.

و المعرفة تنقسم إلى أقسام :

### 1- المعرفة الحسيّة و التجريبيّة

و هي التي مصدرها الحسّ و التجربة ، و يتمّ تجريد المدركات الحسيّة و تعميمها باستعانة العقل ؛ كما في معرفة العلماء و الأخصائيين بقواعد العلوم الطبيعية التجريبية كالكيمياء و الفيزياء و الطب و أمثالها.

### 2- المعرفة العقليّة

و مصدرها هو العقل ، الذي يدرك المفاهيم الانتزاعيّة العقليّة (أي المعقولات الثانية في مصطلح الفلسفة) ؛ و يستنبط الحكم فيها ؛ كما في علم المنطق و الرياضيات و الفلسفة.

و معرفتنا باصول الدين و مبادئ الرّؤية الكونيّة على ضوء العقل و الاستدلال ، هي من هذا القبيل.

نعم ، يمكن أن تكون المعطيات الحسيّة أيضاً منشأ لانتزاع المفاهيم العامة في هذا النوع من المعرفة.

### 3- المعرفة الشهودية

و هي التي تتعلّق بذات المعلوم من دون توسّط الصوريّ و المفهوم الذهني ؛ كما في معرفة الإنسان بذاته. و هي التي تسمى بالمعرفة الحضورية في قبال المعرفة الحسولية.

\*\*\*\*\*

## الفصل الأوّل

# معرفة الله

يشتمل هذا الفصل على مبحثين :

- 1- البحث الأوّل في إثبات وجود البارئ بالأدلة العقلية و العلمية.
- 2- البحث الثاني في إثبات التوحيد و تبين مظاهره.

## المبحث الأوّل

### إثبات وجود البارئ

هناك أساليب و طرق مختلفة لمعرفة وجود البارئ و هي كالتالي :

- 1- التدبّر في نظام الخلق و مظاهره الباهرة و جماله البديع و تماسك أجزائه .
- 2- إقامة البراهين الفلسفية التي تبني على اسس العقل و الحكمة.
- 3- الاستدلال بالأدلة العلمية المبتنية على أساس الاستقراء القائم على حساب الاحتمالات.

## الاسلوب الأوّل

حينما ننظر إلى آية ظاهرة من ظواهر العالم ، من الذرات الصغيرة إلى المجرات العملاقة ، نجد نظاما و تماسكا محيرا للعقول ؛ و عندما نتعمق في معرفتها نرى أنّها تدور على أساس القوانين العلمية و القواعد الرصينة التي عجز كبار العلماء و المحققين من كشف جميع هذه القوانين الدقيقة و لايزالون يحاولون للوصول إلى عمقها و كيفية دورها في إدارة شئون العالم.

فعندما ننظر إلى جهاز القوّة الباصرة مثلا ، نرى أن القوانين العلمية المتعلقة بالنور (كقانون انعكاس النور و قانون انكساره و قانون العدسات) استُخدمت في صنع العين. و عندما ننظر إلى جهاز القوّة السامعة نرى أن قوانين الصوت (كقوانين الأمواج) طبقت في صنع الاذن. وهكذا الحال في كل جهاز آخر ، بل في كل ظاهرة من ظواهر الكون.

و عند التأمل و التدبّر في هذا النظم الرائع ، ندرك بأنّ للعالم صانعا حكيمًا و خبيرًا بالقوانين العلمية المذكورة و هو البارئ تبارك و تعالى.

نذكر مثلا آخر للنظام المتماسك في العالم و هو كما يلي :

كلّ إنسان بل كلّ حيوان يستنشق من الهواء عند الشهيق و هي تحتوي على عنصر الاوكسجين أيضا. و ينتقل الاكسجين إلى خلايا الجسم و يوجب احتراق المادة الغذائية فيها و يستهلك إثر هذه العملية و يأخذ مكانه عنصر سيّام و هو غاز "ثاني أكسيد الكربون". فيخرج عند الرفير هذا الغاز السام (أي ثاني أكسيد الكربون) بدل الغاز الحيوي المستهلك (أي الاكسجين).

و على هذا الأساس ، في كلّ لحظة تقلّ كمية غاز الاكسجين في الهواء و في المقابل ، تزداد كمية غاز ثاني أكسيد الكربون السام.

و نتيجة لذلك ، كان يجب أن يندم وجود الاكسجين في الهواء ، و بالتالي أن لا يتمكن أي إنسان أو حيوان من الحياة على وجه الأرض.

فمن الذي قام بحلّ هذه المشكلة و كيف ؟

كلّ عاقل يعلم بأنّ حلّ هذه المسألة العويصة لا يمكن إلا لمن هو عالم بالقوانين في مجال علم الحياة ؛ و هو البارئ الحكيم ، الذي قام يخلق الأشجار و النباتات ، فإنها تجذب غاز ثاني أكسيد الكربون السام ، و تدخر الكربون منه في اصولها و أغصانها و تطلق الاكسجين في الهواء. و بهذه الطريقة ، تزداد كمية عنصر الاكسجين في الهواء مرة أخرى و تحلّ تلك المشكلة.

لا شكّ أننا لانقدر على بيان كلّ الظواهر و شرح الأنظمة المتناسقة فيها في هذه الرسالة المختصرة ، لأنها أكثر من أن تحصى ؛ لكن كلّ عالم متخصص في مجاله العلمي ، يجد آلاف من الأمثلة من هذا القبيل، التي تحير الإنسان و تبرهن على وجود الخالق الحكيم و البارئ الخبير لنظام الكون.

## الاسلوب الثاني

الاسلوب الثاني لإقامة الدليل على وجود البارئ ، يبتني على الاسس الفلسفية التي تحتاج إلى تمهيد المقدمات التخصصية ؛ و لا يخفى أن بيان تلك الأدلة الفلسفية مع تفاصيلها يستدعي تأليف كتاب ضخم أو موسوعة كبيرة.

و لكننا نحاول في هذه الرسالة المختصرة أن نقدّم إلى القارئ الكريم نموذجاً ساذجاً من تلك البراهين ، الذي لا يفتقر إلى مقدمات فلسفية كثيرة و تمهيدات تخصصية مفصلة.

### برهان الوجوب و الإمكان

الموجود - بحسب الحصر العقلي- إما وجوده من نفسه و هو يسمى "واجب الوجود" في مصطلح الفلسفة ، أو يكون وجوده من غيره و هو يسمى "ممکن الوجود".

و على هذا الأساس ، يكون "ممکن الوجود" معلولاً و يحتاج إلى العلة، لأن كل معلول مفتقر إلى العلة بحكم العقل ؛ بخلاف "واجب الوجود" الذي يكون قائماً بالذات.

و العقل يحكم بأنه لا يمكن أن يكون كل الموجودات "ممکن الوجود" فقط، لأن المجموعة المتكونة من الممكنات، هي ممكنة الوجود و لا تتحقق من دون ما يكون وجوده ضرورياً له و لا يحتاج إلى غيره. و ذلك لأن كل ما هو بالعرض يجب أن ينتهي إلى ما هو بالذات ، و إلا لا يتحقق أبداً.

فلا بدّ من أن تنتهي سلسلة الممكنات - المحتاجة إلى الغير- إلى موجود يكون وجوده من نفسه ، و هو "واجب الوجود" و "البارئ" سبحانه و تعالى.

و بهذا البيان ، يثبت وجود "واجب الوجود" الذي هو المبدء الأول و العلة الأولى لخلق الكون. و أما صفاته و كمالاته و خصوصياته فسوف تتبين في مبحث صفات البارئ.

## الاسلوب الثالث

لا شكّ عند علماء الطبيعة من الفلكيين و الفيزيائيين و الكيميائيين و البيولوجيين و غيرهم في أنّ العالم يسوده نظام متناسق و ترتيب بديع. و نجد هذا التنظيم المحير للعقول في مظاهر الكون و أجهزة العالم ، التي لاتعدّ و لا تحصى.

و السؤال الذي يطرح نفسه هو أنه : من أين جاء هذا التنظيم و الترتيب؟

و يمكن الإجابة عن هذا السؤال بوجهين :

الجواب الأول هو أنّ تنظيم الكون و أجزائه و أجهزته هو من باب الصدفة و الاحتمال العشوائي.

و الجواب الثاني هو أنّه من صنع الخالق المدبّر و المنظم الحكيم و هو البارئ تبارك و تعالى.

و قد بين الأخصائيون كالعالم الرياضي "دي موافر" (De Moivre) بطلان نظرية الاحتمال العشوائي و أثبت أنّ هذا النظام المتماسك البديع لايمكن أن يكون من باب الصدفة. و وضح رأيه بالمثال الرياضي التالي:

"إننا لو وضعنا في صندوق عشرة قطع معدنية مصنوعة من نفس المعدن و متماثلة في القدر و الشكل و الوزن و اللون ، و رقمناها من 1 إلى 10 بالترتيب. فالاحتمال في أن نعثر على الرقم (1) صدفة (أي من دون أن نستخدم البصر) هو واحد من عشرة.

و الاحتمال في أن نظفر بالرقمين (1 و 2) بصورة متتالية يكون واحدا من مائة. و إذا أردنا أن نظفر بثلاثة أرقام متتالية (1 و 2 و 3) فدرجة الاحتمال تكون واحدا من ألف.

و إذا أردنا أن نوفق إلى سحب الأرقام من 1 إلى 10 بصورة متتالية ، فمرتبة الاحتمال تكون واحدا من عشرة آلاف مليون.

و إذا علمنا أنّ المخلوقات المنتظمة المرتبة في هذا الكون مختلفة و متعددة جداً ، و أنّ المخلوقات تكاد لا تتناهى ، و أنّ الترتيب في هذه الموجودات يختلف و يتميز بعضه من بعض ؛ إذن ستكون مرتبة الاحتمال للصدفة العشوائية صفراً.

و هذا يعني أنّه ليس هناك في خلق الكون من صدفة عشوائية أبدا ؛ بل أنّ كلّ ما في الكون قد رتب و نظم من قِبَل المهندس الأعظم ، و هو الله تبارك و تعالى". 1

---

1 نقلا عن كتاب "العلوم الطبيعية في القرآن" ، للدكتور يوسف مروّة.

## إشكال و حلّه

قد يقول المعارضون لوجود باري الكون : إنّ العالم قد تكوّن من المادّة ،  
و المادّة أزليّة و أبدية و لا توجد لها نقطة الانطلاق و البداية و لم يحتاج  
وجودها إلى خالق و باري.

نقول في الجواب :

كان بعض العلماء في القرن التاسع عشر - مثل لاووازيه - يصوّرون العالم  
على أنّه مؤلّف من مادّة ثابتة الكمية و هي أزليّة لتقبل الخلق و الفناء  
حسب قانون "بقاء المادّة" (Conservation of Matter).

لكنّ العلماء الكبار في القرن العشرين - مثل ألبرت اينشتاين - أثبتوا أنّ  
العالم بمادته و هيّاته لم يكن أزلياً ، بل هو مسبوق بالعدم و صار  
موجوداً من زمان الانفجار العظيم (Big Bang) ، قبل أكثر من ثلاثة عشر  
مليار سنة.

\*\*\*\*\*